﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم: 29 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

من جاءه الهدى، واستمرَّ على الكفر والهوى؛ لزم الإعراض عنه

بعدَ أن وصفَ اللّهُ مداركَ المشركين الباطلة وضلالهم، ودَأْبَهم في أنَّهم لا غَرَضَ لهم في اتِّباعِ الحَقِّ، بل استمرّوا على الهوى؛ فرَّعَ عليه أمْرَ نبيِّه ﷺ بالإعراض عنهم ذلك؛ أي: حقَّ أن يكون جزاؤُهم عن إعراضهم إعراضًا عنهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذِكۡرِنَا﴾: الذِّكْرُ: نقيضُ النِّسيان، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيهِ الذِّكْرُ باللِّسانِ، ويَقولونَ: اجعَلْهُ مِنكَ على ذُكْرٍ، بضَمِّ الذّالِ، أي: لا تَنْسَهُ[2]، والذِّكْر تارةً يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً أخرى يُقال لحضور الشَّيء القلب أو القول؛ ولذلك قيل: الذِّكر ذكران: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللِّسان[3]، والمراد بالذِّكر هنا القرآن[4].

2) ﴿مَبۡلَغُهُم﴾: أصلُ مادَّةِ (بلغ) الوُصولُ إلَى الشَّيءِ، تَقولُ: بَلَغْتُ المَكانَ؛ إذا وصَلتَ إلَيهِ، وقَد تُسَمَّى المُشارَفَةُ بُلوغًا بحَقِّ المُقارَبَةِ[5]، ومَعنى ﴿مَبۡلَغُهُم﴾ هنا: لا يكادونَ يجاوزونَهُ إلى غيرِهِ، فليس لهم علمٌ إلّا هذا الكفر باللّه، والشِّرك به على وجه الظَّنِّ، أي: غايةُ ما يبلغون به أنَّهم يأخذون بالظَّنِّ، أو إيثارُ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(3) الراغب، المفردات: (ذكر).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلغ).

الدُّنيا غايةُ ما يبلغه علمهم، ولا يتجاوزونه إلَى أمور الآخرَة لعدم تصديقهم بها[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمَرَ اللّهُ نبيَّه بالإعراضِ عمَّن أعرضَ عن القرآن، فقال: فأعْرِضْ يا محمَّدُ عن دعوته والاهتمام بشأنه، فإنَّ مَن غفلَ عن الله، وأعرضَ عن ذكره، وانهمكَ في الدُّنيا بحيث كانت منتهى همَّته، ومبلغَ علمه، لا تزيده الدَّعوةُ إلّا عنادًا وإصرارًا على الباطل، إنَّ رَبَّك - يا محمَّدُ - هو أعلَمُ بمَن ضَلَّ عن طَريقِه، وهو أعلَمُ بالَّذين اهتَدَوا إلى الحَقِّ[2].

أمــرٌ لـلـنَّـبـيِّ بـالإعـراض عن دعـوةِ مَـن تـولّى عن الحقِّ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ للتَّفريع والسَّببيَّة، فبَعْدَ أنْ وصَفَ مَدارِكَ الكافرين الباطِلةَ وضَلالَهم؛ فرَّع عليه أمْرَ نَبيِّه ﷺ بالإعراضِ عنهم؛ ذلك لأنَّ ما تقَدَّمَ مِن وصفِ ضَلالِهم، كان نَتيجةَ إعراضِهم عن ذِكرِ اللّهِ، وهو التَّوَلّي عن الذِّكرِ؛ فحَقَّ أن يكونَ جَزاؤُهم عن ذلك الإعراضِ إعراضًا عنهم[3]، وفيها معنى التَّعقيب الَّذي يُلمح إلى المسارعة في الإعراض عن المعرضين عن القرآن وعدم الاكتراث بهم.

جــزاءُ إعـراض المـشـركـين أمـرٌ للنَّبيِّ بالإعراض عنهم

ويحتملُ أن تكون الفاءَ الفصيحة؛ لأنَّها أفصحتْ عن جوابِ شرطٍ مقدَّر، تقديره: إذا عرفتَ ما ذكرته لك من أحوالهم، وأردتَ بيانَ ما هو اللازم لك، فأقول لك: (أعرض)[4].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 530، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 266، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 160.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 116.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 28/ 147.

غرضُ التَّعبير بالأمر في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ﴾:

توجيهٌ للنَّبيِّ ﷺ في التَّعاملِ مع المعرضِ عن الحقِّ

الأمْرُ بالإعراض عمَّن تولّى في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ ليس للوجوب، وإنَّما هو توجيهٌ وإرشادٌ للنَّبيِّ ﷺ في التَّعامل مع المعرِضِ عن الحقِّ، وعدمِ الانشغال بمجادلته وإقناعِه والمبالغةِ في الحرصِ على هدايته، فإنَّه لا تفيدُ دعوته إلّا عنادًا وإصرارًا على الباطل، وذلك تخفيفٌ من الله عن النَّبيِّ ﷺ.

معنى حرف الجر ﴿عَن﴾ ودلالته:

تجاوزُ مجادلةِ المعرضين عن الهداية إلى دعوةِ القابلين لها

يدلُّ حرف الجر ﴿عَن﴾، في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ على المجاوزة، وهو الأصل في ﴿عَن﴾، أي: تجاوزْ مَن أعرضَ عن ذكرنا، ولم يردْ إلّا الدُّنيا الفانية الدَّنيئة، وتجاوزْ مجادلتهم والانشغال بدعوتهم، والتفتْ إلى دعوةِ القابلين للهداية.

الغرضُ من التَّعبير بالموصول ﴿مَّن﴾ في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾:

في الموصوليَّة إيذانٌ بعلَّة الأمرِ بالإعراضِ عن الكافرين

عُبِّر بالاسمِ الظّاهرِ، وهو الاسم الموصول ﴿مَّن﴾، في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ للتَّوسُّل بالاسم الموصول إلى وصْفِهم بما في حيِّزِ صلتِه من الأوصافِ القبيحةِ، وهي الإعراضُ عن القُرآنِ المفيدِ للعلمِ اليَقينيِّ والمُنطوي عَلى علومِ الأوَّلينَ والآخرين المذكِّر لأمورِ الآخرة[1]، ولما تُؤذِنُ به صِلةُ المَوصولِ مِن عِلَّةِ الأمْرِ بالإعراضِ عنهم، ومِن تَرتُّبِ تَولّيهم عن ذِكرِ اللّهِ على ما سبَقَ وصْفُه مِن ضَلالِهم؛ إذْ لم يَتقدَّمْ وصْفُهم بالتَّولّي عنِ الذِّكرِ، وإنَّما تَقدَّمَ وصْفُ أسبابِه[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿تَوَلَّىٰ﴾ مادَّة وصيغة:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ ﴿تَوَلَّىٰ﴾؛ لاتِّساع معناه، فالتَّوَلّي

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.

قد يكون بالجسْم، وقد يكون بتَرْكِ الإصغاءِ والائتمار[1]، وهذا كان حالُ المشركين مع القرآن، فقد تركوا الإصغاءَ له، ولم يأتمِروا بما جاء فيه، وأدبروا، وانصرفوا عنه إلى شيءٍ آخر، ولمراعاة مناسبةِ السّياق الَّذي ذُكِرَ فيه لفظُ الإعراض الَّذي من معانيه التَّولّي مِن: ولّى عن الشَّيء: أدْبَرَ، وأعْرَضَ عَنْهُ، أو نَأى[2]، وهذا يدلُّ على شدَّةِ عنادِ المعرض وقبحِ فعله، وعدمِ استجابته للحقِّ، فهو مطموسٌ على قلبه، ولا يُرتجى منه أيُّ إيمان، ولهذا الغرض عبَّر بالفعل الماضي الَّذي يدلُّ على ثبوتِ وقوعِ التَّولّي منه وتحقُّقِه، فإعراضُه وانصرافه عن القرآن ليس مجرَّد تردُّد، بل هو موقفٌ ثابتٌ وراسخ منه، وكأنَّه صارَ طبيعةً له، ومجيءُ الفعلِ على صيغةِ المُفرَدِ مراعاةٌ للفظِ (مَن)، ألا تَرى قولَهُ: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم﴾ بضَميرِ الجمْعِ؟[3].

تـــرْكُ إصـغـاءِ المشركين للحقِّ وانصرافُهم عنه مـوقـفٌ ثـابـتٌ وراسخٌ منهم

بلاغةُ التَّعبير بالاستعارة في (الإعراض)، و(التَّولّي):

حقيقةُ الإعراضِ: لفْتُ الوجهِ عنِ الشَّيء؛ لأنَّهُ مشتقٌّ مِنَ العارضِ، وهو صفحةُ الخدِّ؛ لأنَّ الكارهَ لشيء يصرِفُ عنه وجهَهُ، وحقيقةُ التَّولّي: الإدبار والانصراف، وهما - أي: (الإعراض)، و(التَّولّي)، في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾ - كلاهما مستعملٌ في مجازه؛ فأمّا الإعراض؛ فهو مستعارٌ لترك المجادلة، أو لترك الاهتمام بسلامتهم من العذاب وغضب الله، أي: عدم الاهتمام بنجاتهم؛ لأنَّهم لم يقبلوا الإرشاد، وإلّا فإنَّ النَّبيَّ ﷺ مأمورٌ بإدامةِ دعوتهم للإيمان، فكما كان يدعوهم قبل نزول هذه الآية، فقد دعاهم غير مرَّة بعد نزولها، وأمّا التَّولّي؛ فهو مستعارٌ، كذلك لعدمِ الاستماع أو لعدمِ الامتثال من الَّذين تولّوا عن القرآن الكريم[4].

تـــرْكُ مجادلة المشركين لعدمِ اسـتـمـاعِـهـم القرآن والامتثالِ للحقِّ

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 5/ 282.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (ولي).
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.

سرُّ الإضافة في: ﴿ذِكۡرِنَا﴾ في قوله: ﴿عَن ذِكۡرِنَا﴾:

إضافةُ الذِّكر إلى (نا) الدالة على التَّعظيم، في قوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾؛ للتَّشريف والتَّكريم، فهو ذِكر خاصٌّ صادرٌ من الله، وليس مجرَّد كلام بشري، ممّا يعطيه مكانة عظيمة، فالتَّولّي عن كلام الله يعني التَّولّي عن الإيمان بالله وبهدايته، كما أنَّ في الإضافة إظهارًا لعَظيمِ ذنبهم، وقبيحِ فِعلهم واستحقاقهم للتَّهديد والأمر بالإعراض عنهم.

التَّولّي عن كلام الله فعلٌ قبيحٌ يستحقُّ الإعراض عن فاعله

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾: إمّا عاطفةٌ[1] جمعَتْ بين وصفين للمشركين، هما: الإعراضُ عن القرآن، والانهماكُ بالدُّنيا، وإمّا حاليَّةٌ، والمعنى: فأعرضْ عن الَّذي تولّى عن ذكرنا، وحاله أنَّه لم يردْ إلّا الحياة الدُّنيا، فمن كانتْ هذه صفاته؛ فلا يُرتجى إيمانه، فأعرضْ عن دعوته والاهتمام بشأنه.

من كان حاله الإعراضَ عن القرآن والانهماكَ بالدُّنيا لا يستحقُّ الاهتمام

دلالةُ النَّفي بـ(لم) في ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ﴾:

دخولُ حرف الجزم والنَّفي (لم)، على الفعل المضارع ﴿يُرِدۡ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، نقلَ الفعلَ المضارع إلى معنى النَّفي في الزَّمن الماضي، وأفادَ نفيَ إرادة المعرض عن الآخرة، ودوامَ إعراضه على وجهٍ بليغ، أي: لم يُعرض عن القرآن الكريم المذكِّرِ لأمورِ الآخرةِ في وقتٍ، ويقبلْ في آخر، وإنَّما لم يردْ في وقتٍ من الأوقات إلّا الحياةَ الدُّنيا الحاضرة[2].

المشركُ لم يردْ في وقتٍ من الأوقات إلّا الحياة الدُّنيا

الغرضُ من التَّعبير بأسلوب القصر بطريق النَّفي والاستثناء:

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالقصر بطريق النَّفي والاستثناء؛ فضحًا لهم وتعليلًا للإعراض والتَّولي عنهم؛ لأنَّهم أتفه النّاس بحصر

استمرارُ المشركين على الانهماك في الدُّنيا منبئٌ عن شدَّة ضلالهم

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 358.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.

غاياتهم فيما يفنى، وعبَّر بصيغة المضارع المجزوم في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ للدَّلالة على المبالغةِ في الدَّوام والاستمرار في عدم إرادتهم لغير الحياة الدُّنيا؛ بحيثُ كانت الدُّنيا هي مُنتهَى همَّتِهم، وقُصارَى سعيهم لا تزيدُه الدَّعوةُ إلى خلافِها إلّا عنادًا وإصرارًا على الباطلِ[1]، أي: لم يكنْ إعراضهم في وقتٍ دون آخر، ولذا دلَّ على دوامه على هذا الوجه البليغ[2]، وقد أفادَ الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾ المسبوق بالنَّفي الحصر.

بلاغة التعبير بالكناية:

في هذا الأسلوب ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ كِنايةٌ عن عدَمِ الإيمانِ بالحياةِ الآخرةِ، كما دلَّ عليه قولُه: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾؛ لأنَّهم لو آمَنوا بها على حَقيقتِها؛ لأرادوها، ولو ببَعضِ أعمالِهم[3]، فهُم رضوا بالحياة الدُّنيا، وقصروا نظرهم عليها، فلا تزيدُهم الدَّعوةُ إلى خلافِها إلّا عنادًا وإصرارًا على الباطلِ[4].

الدُّنيا مُنتهَى همَّة الكافرين وقُصارَى سعيهم

دلالةُ التَّعبير بالمفعول به موصوفًا:

وصف الحياة بالوصف في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، يشير إلى نقصها وقِصرِ التَّمتُّع بها، وقلَّته وسرعةِ زواله وانقضائه، وكأنَّه لم يكن؛ لأنَّ الدُّنيا إنَّما سُمّيتْ بهذا الاسم لدنوِّها، أو لدناءتها[5]، ويردُ هذا التَّركيب عندما يريدُ النَّظم الكريم أن يصوِّرَ استغراقَ الإنسان في هذه الحياة، وعدمَ عنايته بما بعدها، واغتراره بأهوائها وشهواتها، وكأنَّها هي الحياة الأبديَّة[6].

ذمُّ مَن انشغلَ بالدُّنيا الفانية عن الآخرة الباقية

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160 - 161.
(5) البغوي، معالم التنزيل: 2/ 120.
(6) خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم - دراسة دلالية مقارنة، ص: 349 - 350.

دلالةُ الاستئناف:

بيانُ سببِ جهل المعرضين بوجود الحياة الآخرة لتحقيرهم

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾ استِئنافٌ بَيانيٌّ، بيَّنَ سَببَ جَهْلِ المعرضين بوُجودِ الحياةِ الآخِرةِ؛ لأنَّه لغَرابتِه ممّا يَسألُ عنه السّائلُ، وفيه تَحقيرٌ لهم، وازدِراءٌ بهم بقُصورِ مَعلوماتِهم، وهذا الاستِئنافُ وقَعَ مُعترِضًا بينَ الجُمَلِ في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، وعِلَّتِها في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، وهو اعتِراضٌ مُقرِّرٌ لقُصورِ هِمَمِهم بالدُّنيا[2].

الغرضُ من التَّعبير باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

تولّيهم عن القرآن وقصرِ إرادتهم على الدُّنيا أمرٌ متناهٍ في الجهل

﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾ يشيرُ إلى ما أدّاهم إلى ماهم فيه من التَّولّي وقصرِ الإرادة على الحياة الدُّنيا[3]، وقد استعملَ ما يُشارُ به إلى البعيد؛ للدَّلالة على أنَّ إعراضهم وتولّيهم عن القرآن، وقصْرِ إرادتهم على الحياةِ الدُّنيا هو أمرٌ متناهٍ في الجهل والقباحة[4].

دلالة التَّعبير بالمصدر الميميِّ مضافًا إلى الضَّمير:

منتهى ما بلغهُ المشركون جهلٌ وقباحةٌ

عبَّر القرآن بالمصدر الميميِّ ﴿مَبْلَغُهُم﴾ من الفعل (بلغ)، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾، دون المصدر القياسيِّ الأصليِّ (بلوغهم)؛ للإيحاء بالحدِّ النِّهائي للعلم الَّذي وصلوا إليه، أي: ذلك الأمرُ المتناهي في الجهل والقباحة هو نهايةُ بلوغهم وموضعُ بلوغهم والحاصل لهم[5]، والإضافة إلى الضَّمير (هم) تعني أنَّ هذا المبلغ هو خاصٌّ بهم، لا يتعدّونه، وتبرز انغلاقهم العلميَّ والفكريَّ،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 425.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.

فهُم لا يمتلكون من العلم إلّا قشوره الدُّنيويَّة، وهم معرضون عن الذِّكر، فلا نصيبَ لهم من الهداية أو الفهم العميق.

معنى ﴿مِّنَ﴾ ودلالتها:

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ بيانيَّة، أي: ذلك الَّذي بلغوه، هو أوهامٌ وظنونٌ لا تتَّصلُ بالهداية ولا بالآخرة، فلا تُمثِّل العلم الحقيقيَّ النافع، أو بمعنى (في) والتَّقدير: مبلغهم في الظّنونِ والأوهام، فهُم منغمسون فيها.

حقيقةُ ما بلغه المشركون أوهامٌ وظنونٌ انغمسوا فيها

معنى اللام ودلالتها:

التَّعريف في ﴿ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ للعهدِ، أي: العلم المعهود الَّذي يملكونه، ويعرفونه، وهو علمٌ قاصرٌ لا يتجاوز الظُّنون والأوهام، و"تسميته علمًا تهكُّمٌ بهم"[1]؛ لأنَّه لا علم لهم؛ لأنَّ عيون بصائرهم عمي، ومرائيها كثيفة مظلمة، لا تكشف عن نظر الآخرة، الَّتي هي أصل العلوم كلِّها[2].

تسميةُ أوهام المشركين علمًا تهكُّمٌ بهم

بلاغة التَّعبير بالاستعارة في جملة: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم﴾:

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ استُعير للشَّيءِ – الَّذي لم يعلمه المشركون المنهمكون في الدُّنيا – اسمُ الحدِّ الَّذي يبلغُ إليه السّائرُ، فلا يعلم ما بعده من البلاد[3]، وفي هذا تصويرٌ لقصورِ معلوماتهم، بما يتضمَّن تحقيرهم والازدراءَ بحالهم.

تصويرٌ لقصور معلومات المشركين تحقيرًا لهم وازدراءً بحالهم

موقع جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ ممّا قبله ودلالته:

وقع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تَعليلًا لجُملةِ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾، وأفادَ تَسليةً للنَّبيِّ ﷺ بكون الله مُتولّي حِسابِهم وجَزائِهم موعدًا الضّالّينَ[4]، فبينهما شبهُ كمال

تعليلٌ يحملُ التَّسليةَ للنَّبيِّ والجوابَ عن تساؤله

(1) حاشية الصاوي على الجلالين، ص: 1879.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.

اتِّصال، فكأنَّه لمّا أمر اللّهُ نبيَّه بالإعراض عن الكافرين، تساءلَ النَّبيُّ ﷺ عن علَّة ذلك، فجاءه الجواب.

بلاغة التَّعبير بالاستعارة، والكناية:

الوعيدُ بالكناية أشدُّ من التَّصريح به

في التعبير القرآني: ﴿سَبِيلِهِۦ﴾ تشبيهٌ للإسلام بالطَّريقِ المحسوس - الَّذي يسلكه المهتدون إلى دين الله، ويضلُّ عنه آخرون، فيسلكون سُبُلًا أخرى - استعارةٌ تصريحيَّة؛ إذ صرَّح بالمشبَّه به، وهو السَّبيل، وحذف المُشبَّه، وهو الإسلام، والجملةُ الخبريَّةُ: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ جاءتْ كنايةً عن تولّي اللّهِ حسابَ الضّالّين والمهتدين وجزائهم بما يستحقّون[1]، وإحاطة علمه بحالهم، والوعيد بالكناية أشدُّ من التَّصريح به.

بلاغةُ توالي المؤكِّدات في الآية:

تـوكـيـدُ كـون الـلـه وحـده مُـتـولّي حِساب المـعـرضـين وجَـزائِـهـم بما يستحقّون

التَّوكيدُ المُفادُ بحرْفِ ﴿إِنَّ﴾ وبضَميرِ الفَصْلِ ﴿هُوَ﴾ وبالجملة الاسميَّة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾، راجعٌ إلى المعْنى الكِنائيِّ، وهو أنَّ الله وحده مُتولّي حِسابهم وجَزائِهم بما يستحقّون، وأمّا كونُه تعالى أعلَمَ بذلك؛ فلا مُقْتضى لتأْكيدِه، لمّا كان المُخاطَبُ به النَّبيَّ ﷺ والمعْنى: هو أعلَمُ منكَ بحالِهم[2]، وهذا تسليةٌ له ﷺ أو أنَّ التَّوكيدَ قطعًا لطمعِ من يظنُّ أنَّ وعظَ النَّبيِّ ﷺ وكلامه يردُّ أحدًا من المشركين عن غيِّه، وإنْ أبلغَ ﷺ في أمره ودعائه في سرِّه وجهره[3].

سرُّ إيثار لفظ الرُّبوبيَّة معرَّفًا بالإضافة:

عـنـايـةُ الـلـه لا تـنـفـكُّ عـن نبيِّه حتى مع إعراض الضالين عنه

في التعبير بالربوبيَّة وإضافته إلى النَّبيِّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ما يدلُّ على التكريم والتشريف للنَّبيِّ ﷺ والرَّحمة والإحسان إليه بالإرسال وغيره، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 65.

ضلالَ هذا المصرِّ على الضلال من إحسان الله إلى نبيِّه ﷺ لأنَّه لو دخل في دينه؛ لأفسدَ أكثر ممّا يصلح، كما قال تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: 47]؛ وذلك لأنَّ هذا الكافر جُبِل جبلَّة غير قابلة للخير(1).

دلالة التَّعبير بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾:

ضَميرُ الفصْلِ ﴿هُوَ﴾ مُفيدٌ قصْرَ المسندِ على المسند إليه، وهو قصْرٌ حَقيقيٌّ، اختصَّ فيه المقصور بالمقصور عليه، فاللهُ وحده مَن يعلم دَخائلَ الضالين، وعلْمُه بحالهم صفةٌ مقصورةٌ على الله، لا يشاركه فيها أحدٌ، وأنتَ يا رسول الله لا تَعلَمُ، فلا تَتحسَّرْ عليهم(2)، وفي "اقتصارِ العلمِ بأحوالِ الفريقينِ عليه تعالَى رمزٌ إلى أنَّه تعالَى يعاملُهم بموجبِ علمِه بهم، فيجزي كلًّا منهم بما يليقُ بهِ من الجزاءِ، ففيهِ وعيدٌ ووعدٌ ضِمنًا، كما سيأتي صَريحًا"(3).

في اقتصارِ اللهِ بعلمِ أحوالِ الضالين والمهتدين وعيدٌ ووعدٌ

دلالة التَّعبير بصيغة التَّفضيل: ﴿أَعْلَمُ﴾:

مع أنَّ العلمَ بأحوال الضّالين والمهتدين صفةٌ مقصورةٌ على الله – ففي الحقيقةِ هو العالم لا غير – فقد صاغَ البيانُ الحكيم ﴿أَعْلَمُ﴾ على هيئة أفعل التفضيل؛ للدَّلالة على أنَّ اللهَ لا يعزبُ عن علمه أحدٌ من الضالين، ولا أحدٌ من المهتدين، وأنَّ علْمَهُ وسعَ الكون ومَنْ فيه وما فيه، "ويمكن أنْ يقال: أعلم من كلِّ عالم بفرض عالم غيره"(4)، ولا يوجد.

علمُ الله وسعَ الكون ومَن فيه وما فيه، فلا يعزبُ عن علمهِ شيءٌ

معنى الباء ودلالتها في ﴿بِمَن ضَلَّ﴾:

الباءُ في قوله: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ وفي ﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ لِتَعْدِيَةِ صِفَتَي ﴿أَعْلَمُ﴾، وهي لِلْمُلابَسَةِ، أي: هو أشَدُّ عِلْمًا مُلابِسًا لِمَنْ ضَلَّ عَنْ

علمُ الله محيطٌ بخبايا المخلوقات ومصائرِ العباد

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 65.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 118.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 266.

سَبيلِهِ ولمن اهتدى، أيْ: ملابسًا لحال ضلاله، وحال هدايته[1]، ويمكن أن تكون الباء "زائدةً لتقوية العمل"[2].

الغرض من التَّعبير بالموصول (مَنْ):

بيانٌ لاتِّصاف الكافرين بأقبحِ الأوصاف، وهي الإصرار على الضَّلال

في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وضعَ الموصول (مَنْ) موضعَ ضميرهم، فلم يقل: (هو أعلم بهم)؛ للتوسُّل به إلى وصفهم بما في حيِّزِ صلتِه من الأوصافِ القبيحةِ، وهي تحقُّق الإصرار على الضَّلال منهم، ولإفادةِ العموم، فهو أعلمُ بكلِّ مَن ضلَّ عن سبيله.

دلالة التَّعبير بالماضي في ﴿ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾:

بيانُ تحقُّق إصرارِ الكافرين على الضَّلال عليه

عبَّر البيانُ الحكيمُ بصيغةِ الماضي في قوله: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ الضَّلال والإصرار عليه، فاللهُ أعلمُ بمَنْ أصرَّ عليهِ، ولم يرجعْ إلى الهُدَى أصلًا، ولا يرعوي عنِ الضَّلالِ أبدًا، فلا تُتعبْ نفسَك يامحمَّد في دعوتِهم، فإنَّهم من القبيلِ الأوَّلِ[3].

دلالة العطف في قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾:

في بيانِ شمول علم الله بالنّاس جميعًا مزيدُ تسليةٍ للنَّبيِّ ﷺ

في عطف (علم الله بمَن اهتدى) على (علمه بمَن ضلَّ عن سبيله) جمعٌ بين حالين متقابلين مختلفين، وهما حالُ الضّالين وحال المهتدين، بما يدلُّ على شمولِ علم الله بالناس جميعًا، وفي هذا مزيدُ تسلية للنَّبيِّ ﷺ.

بلاغة التتميم في جملة الفاصلة:

في التتميم وعْدٌ وتطمينٌ للمؤمنينَ وبِشارةٌ للنَّبيِّ ﷺ

أطنبَ البيانُ القرآني في الآية الكريمة بجُملةِ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ تَتْميمًا للمعنى، أي: علمُ الله تعالى أيضًا محيطٌ بكلِّ مَن اهتدى، والهدايةُ مرتبطةٌ بعلم الله الأزلي، وفيه وعْدٌ وطمأنينةٌ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 119.
(2) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 18/ 290.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.

للمؤمنينَ، وبِشارةٌ للنَّبيِّ ﷺ[1]، كما أنَّ في هذا التتميم مراعاةً للفاصلة القرآنية.

سرُّ تكرار ضمير الفصل (هو) واسم التفضيل ﴿أَعْلَمُ﴾:

في التكرار بيانُ شمول علمِ الله وإيذانٌ بكَمالِ تَبايُنِ المَعلومَين

كرَّرَ البيانُ الحكيم قولَه تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ ولفظ ﴿بِمَن﴾، ولم يقلْ: (هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وبالمهتدين)؛ لزيادةِ تقريرِ علمِ اللّه بخلقه سبحانه الضالين منهم والمهتدين على حدٍّ سواء، والإيذانِ بكَمالِ تَبايُنِ المَعلومَين[2].

سرُّ تقديم الضلال على الهداية:

في تقديم الضلال تهديدٌ للكافرين وتسليةٌ لقلب النبي ﷺ

تَقْديم ذِكر (مَنْ ضَلَّ) على ذكر (مَنِ اهْتَدى)؛ لأنَّ ذِكر الضالّين أهمُّ في هَذا المَقام، والسياقُ يُعالج قضيةَ ضلالهم، وأمّا ذِكْرُ المُهْتَدينَ؛ فتَتْميمٌ[3]، ولأنَّ المذكورَ نَبيُّه ﷺ والمعانِدونَ، فذَكَرهم أوَّلًا تَهديدًا لهم، وتَسليةً لقَلبِ نَبيِّه ﷺ[4].

بلاغة التعبير بالطِّباق في ﴿ضَلَّ﴾ و﴿ٱهْتَدَىٰ﴾:

بضدِّها تتميَّز الأشياء

أسلوب الطباق يلائم خطاب العقول؛ إذ كلُّ ضدٍّ يستدعي ضدَّه في الذهن، فيأتي الضدُّ بالاستدعاء، وما جاء مع انتظاره كان في الذهن أقعد، وللمذكور السابق أكثر تمييزًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التولّي، والإعراض:

الإعراضُ تجاهلٌ وعدمُ اكتراث[5]، فحَقيقَةُ الإعراضِ: لَفْتُ الوَجْهِ عَنِ الشَّيءِ؛ لأنَّهُ مُشتَقٌّ مِنَ العارِضِ، وهوَ صَفْحَةُ الخَدِّ؛ لأنَّ

الإعراضُ تجاهلٌ مؤقَّتٌ وهجرٌ حكيم، والتولّي انقلابٌ عن الحقِّ وموالاةٌ للباطل

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 119.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 161.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 119.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 267.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (عرض).

الكارِهَ لِشَيءٍ يَصْرِفُ عَنْهُ وجْهَهُ[1]، وأمّا التّولّي إذا عُدّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتضى معنى الإعراض وترْك القرب[2]، وحَقيقَةُ التَّوَلّي: الإدبارُ والانصراف والذهاب[3]، وقد ناسبَ استعمالُ لفظ الإعراض مع النبي ﷺ؛ لأنَّ المأمور به ليس المرادُ منه الإدبار التامَّ والانصراف عنهم، فالنبيُّ ﷺ مأمورٌ بإدامة دعوتهم للإيمان، وإنَّما المراد عدمُ الاهتمام بالمشركين وعدمُ الاكتراث بهم، وعدمُ التحسُّر عليهم، وفي هذا تسليةٌ له ﷺ، بينما ناسبَ استعمال لفظ التولّي مع المشركين الذين أدبروا، وانصرفوا انصرافًا كاملًا عن ذكر الله، فالتولّي انقلابٌ عن الحقِّ، وموالاةٌ للباطل.

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117.

(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 4/ 343، والكفوي، الكليات، ص: 28.

(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 117، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ولى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"